رحلة

اوليا چلبي

في كوردستان

عام ١٠٦٥ هـ - ١٦٥٥ م

ترجمة / رشيد فندي

٢٠٠٨

■ رحلة اوليا چلبي في كوردستان

□ ترجمة / رشيد فندي

□ الاخراج الفني و الغلاف :
عصام حجي طاهر

■ عدد النسخ : ٥٠٠
□ الطبعة الأولى /٢٠٠٨
□ مطبعة : خانى - دهوك
■ رقم الايداع (٢٤٤٦) في المديرية العامة للمكتبات / أربيل

مقدمة

ما حدث للمترجم من التركية الى الكوردية السيد (سعيد ناكام) حدث لي تقريباً، فعندما ابصرت بكتاب (رحلة اوليا چلبي) باللغة الكوردية عام (١٩٧٩)، و هو الكتاب الذي طبعه المجمع العلمي الكوردي ذلك العام، اشتريت الكتاب المذكور و ضممته الى مكتبتي، و انشغلت بقراءة كتب اخرى، و عندما رجعت لمطالعة الكتاب المذكور، كنت اظن بانني سأقضي وقتي مع كتاب يضم اضمامة من افكار و ملاحظات عابرة عن الكورد، تصفهم بالتخلف و التوحش و حب القتال، و الخ من المواصفات التي اعتاد بعض المؤرخين سوقها لدى تحدثهم عن تاريخ الكورد و طبائعهم، و خصوصاً من العثمانيين و الفرس.. اذ أننا اعتدنا كتاباتهم التي لا تتحرى عن جانب الدقة و الصواب لدى تقييمهم للامور التاريخية المتعلقة بالكورد، خصوصاً و ان هذا الكتاب يرجع الى

منتصف القرن السابع عشر، عصر السلاطين و الملوك من آل عثمان، و تكاد جميع الكتب التي تعود لتلك الفترة تجمع و يتفق اصحابها على الجهل او التجاهل حيال الحقائق التاريخية و السياسية التي تتعلق بالكورد، و قد تسببوا متعمدين في تشويه سمعة الشعب الكوردي و لو لحين من الدهر و تشويه تطلعاته و آماله التي افصح عنها في ثوراته و انتفاضاته المستمرة ضد الانظمة القامعة.. و لكن تلك الغيوم السوداء تبددت أمام ناظري منذ الصفحات الأولى من الكتاب، و اصبحت اقرأ بتلهف و شوق بالغين صفحات الكتاب المذكور، خاصة و ان المؤلف (اوليا چلبي) كان موضوعياً في معظم توجهاته و قناعاته حول الكورد، و عند انتهائي من الكتاب، أعددت منها محاضرة تاريخية القيتها في الموسم الثقافي لأتحاد الادباء الكورد- دهوك، و نظراً للمعلومات التاريخية القيمة الواردة في الكتاب، طلب مني الزملاء اعادة المحاضرة بشكل اوسع، لذا قمت باعادة المحاضرة في قاعة غاصة بالجمهور، و قسم منهم واقف على قدميه حتى نهاية المحاضرة.. ثم طلب مني الزملاء ترجمة الكتاب الى العربية- لكي يطلع القراء باللغة العربية على محتويات هذا الكتاب، الذي دونه الرحالة و السائح و المؤرخ اوليا چلبي، و هي نتيجة رحلة قام بها في كوردستان خلال عام (١٠٦٥هـ- ١٦٥٥م) ضمن مهمة رسمية يبدو انه تمّ تكليفه بها من قبل أعلى الاوساط في الباب العالي حينذاك.. حسب رايي، الكتاب مهم جداً من ناحيتين، الأولى: هي الجانب الحضاري الذي كان سائداً في كوردستان حينذاك في ظل الامارات الكوردية شبه المستقلة و ما كانت عليه من تقدم حسب مقياس ذلك الزمان، و الناحية الثانية هي اعطاء التفصيلات حول المؤامرة الكبيرة التي نسجها الباب العالي و قادته حول امارة بدليس الكوردية و أميرها الشهم (عبدال خان) و ما كان عليه

من أباء تفصح عنها شخصيته الكوردية العريقة، و التي سنقرأ تفاصيلها في ثنايا الكتاب..

و حول المؤلف (اوليا چلبي) نقول انه لم يقم بتدوين شيء عن بطاقته الشخصية في كتابه، كما ان المترجم من التركية الى الكوردية الاستاذ سعيد ناكام، ايضاً لم يسجل شيئاً عن حياة المؤلف، و الذي نعرفه نحن هي الاشارة الى ما ذكره المؤرخ المعروف د.كمال مظهر عنه في احدى مؤلفاته اذ يقول ان (اوليا چلبي) هو (درويش محمد ظلّي) ولد عام ١٦١١م و توفي عام ١٦٧٩م؟ و من المؤكد ان علامة الاستفهام تعود للدكتور كمال مظهر و العلامة تشير الى عدم التيقّن و التاكد من سنة وفاته،(١) كما ورد اسمه في مصدر آخر هو دائرة المعارف الاسلامية، التي ورد فيها ان اوليا چلبي توفي عام (١٠٩٣هـ- ١٦٨٢م)..(٢) و عموماً نقول ان المؤلف و كتابه (سياحتنامه) غنيان عن التعريف اذ يرد ذكرهما دائماً في المصادر التاريخية الموثوقة..

الكتاب مؤلف اصلاً باللغة التركية العثمانية، و هو يتكون من سبعة اجزاء، و الجزء الرابع هو المتخصص في تاريخ الكورد و كوردستان، و قد تمت ترجمته لوحده الى الكوردية، و نقوم نحن ايضاً بتعريب ذلك الجزء فقط. ولقد سررت حقاً، عندما قام أحد الأساتذة الأفاضل، بأستنساخ النصّ التركي الأصلي للكتاب في تركيا وجلبه لي، والنصّ هو بالأملاء التركي القديم أي بالحروف العربية، فأستفدت منه كثيراً عن طريق المقارنة بين الأصل التركي العثماني والترجمة الكوردية، وقمت بالمقارنة سطراً سطراً،

١- د. كمال مظهر أحمد، ميژوو-التأريخ ص ١٢٢، بغداد ١٩٨٣ (ر.ف).
٢- الكورد في دائرة المعارف الاسلامية، باللغة الفارسية،ص٢ ايران ١٩٨٨.
تنظر الترجمة العربية للكتاب المذكور في مجلة ڤەژين العدد (٩) من قبل رشيد فندي. ص (١٢٠- ١٢٨) (ر. ف).

ووقفت على بعض أماكن الاختلاف بين النصين، كما قمت بتثبيت أسماء العلم وأسماء المدن والأرقام المختلفة حسب النص الأصلي، وفي بعض الأماكن التي لم أتأكد منها وساورني الشّك في فهمها، ساعدني في فكّ الأبهام الموجود والوصول الى دقّة الترجمة، الزملاء الأفاضل د. بهروز شجاعي و د. عبدالآله كتانة و د.قدري يلدرم، الذين لهم اطّلاع جيد على النصوص التركية العثمانية، وانّني استغلّ هذه الفرصة السانحة، لأعبّر لهم عن شكري وتقديري الوافرين في ذلك، مضافة الى الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل سعيد ناكام، الذي جاهد كثيراً لترجمة هذا الكتاب المهّم من اللغة التركية العثمانية الى اللغة الكوردية، وكشف الغطاء عن صفحة مضيئة من تاريخ الحضارة الكوردية العريقة، وهي صفحة تهم القارئ الكريم.

و لابد من القول ان مؤلف الكتاب (أوليا چلبي) رغم موضوعيّته و أنصافه في معظم صفحات الكتاب، الاّ أنه قد حاد عنها في قضية (بدليس) و دفاع سكانها عن انفسهم و عن اميرهم (عبدال خان)، كما انه قد سرد احياناً بعض الأفكار الغريبة و الساذجة عن الكورد، و لكننا توخياً للدقة و الموضوعية لم نغيّر من الأمر شيئاً و لم نتدخل في اية كلمة من كلماته، و قد اشفعنا ترجمتنا احياناً ببعض التعليقات المبتسرة و التوضيحات الضرورية في الهوامش، و نترك الحكم النهائي للقارئ الكريم، ارجو ان يكون هذا العمل جزءاً من خدمة شعبنا و واجبنا نحوه، و نحن نحاول الكشف عن بعض خبايا و زوايا تاريخه. و الحقيقة التاريخية المشار اليها في الكتاب فترة مهمة، و هي فترة ما بعد (الشرفنامه)، ارجو من الله التوفيق.

رشيد فندي

٦

مقدمة المترجم من التركية الى الكوردية

هذا الكتاب هو جزء من كتاب (الكورد في تواريخ جيرانهم)، الذي يبحث عن كيفية تسمية و دراسة الشعب الكوردي من قبل مؤرخي الشعوب المجاورة، دون تصرف و تشذيب و تدخل، و من ثم وضعه أمام أعين القارئ الكريم.. أي انها محاولة بسيطة لألقاء الضوء و لو بشكل خافت على الايام المظلمة من تاريخ شعبنا.

ان واحداً من اكثر الشعوب التصاقاً بالكورد و احتكاكاً بهم، و تداخلا في تاريخهم، هم الترك العثمانيون، الذين تجاوروا مع الكورد منذ ثمانية قرون خلت، و ان واحداً من اهم المصادر التي تشير الى تاريخ هجرتهم من مغولستان و استقرارهم في آسيا الصغرى، و تجاورهم مع الكورد، هو كتاب (اوليا چلبي) الذي كتب قبل (٣٣٣) سنة من الآن.(١)

١- كتب الكتاب عام (١٠٦٥هـ- ١٦٥٥م). (ر.ف)

و كنت سابقاً قد ابصرت في هوامش الكتب التاريخية بأسم (اوليا چلبي) كمصدر تاريخي دون ان يشير الاسم اهتمامي، الى ان طلب مني احد الاصدقاء في صيف هذا العام (عام ١٩٧٧) أن أقضي بعضاً من فراغي بترجمة (سياحة اوليا چلبي)، اما انا فقبل اتخاذ قرار بصدد ذلك، قمت بقراءة سريعة للمجلد الرابع من كتابه المتكون من ستة مجلدات.

في مقتبل الربيع، يخرج الناس في كوردستان الى الحقول و السهوب طلباً لجمع نبات الكعوب و غيره من النباتات البرية(١) بواسطة ادوات قلعها من الارض، ارجو من القارئ الكريم ان يتخيل مسحاة استخراج الكعوب، و اذا به يفاجأ برنين بعيد من خياله، و بدلاً من حصوله على جذر كعوب، اذا به و قد استخرج قطعة ذهبية.

كنت انتظر منه كتاباً تركياً يبدأ بالثناء على (سلطان البريّن و خاقان البحرين)، و أن يكون مضمونه مليئاً بالهرطقة و المدح له، و ان لا يقترب من الحقيقة الا نادراً و حسب مصلحته، و لكن الامر لم يكن كذلك، اذ لو وضعنا الأفكار الصوفية و الجانب الديني لمؤلف (السياحتنامه) جانباً، لأنها أقل علاقة بموضوعنا، لأصبح بأمكاننا القول بأنه كتب ما رآه و ما عرفه من حقائق، بكل موضوعية و نقل الحقائق بكل صفاء، و ان كتاباته خالية الى حد كبير من كل تعصب و تمييز عنصري، و اذا كان المؤرخ الكوردي (شرفخان البدليسي) قد كتب الشرفنامه لشعبه الكوردي، فأن (أوليا چلبي) كتب ما رآه و ما سمعه في سياحته في أرجاء الدولة العثمانية، لذا يحق ان يسمى هذا المجلد من كتابه ب (كتاب كوردستان) لانه ذكر فيه اشياء كثيرة، غير واردة في الشرفنامة..

٢- الكعوب هو (كەنگر) بالكوردية، و النباتات البرية في الاصل هي (شنگ وناله كوك). و ادوات القلع في الكوردية هي (پيشك، مقساسة).. (ر. ف).

ان أسلوب الكتابة لدى (اوليا چلبي) هو اسلوب جاف، حتى لو قيس بمقياس عصره، و قد انتحى ناحية الدقة في الكتابة، اما انا فكنت أمام أمرين في معرض ترجمتي للكتاب، أما تغيير أسلوبه الجاف في الكتابة و وضعه في قالب ملائم لهذا اليوم، و بذلك سيختلف الكتاب عن نصه الأصلي قليلاً، أو أترجم الكتاب كما هو، وأن لا أغيّر أو أترك أو أضيف أية كلمة، دون تغيير محل جملة وأن لا أعيد تكراره لكلمة مرتين أو ثلاث وأكتفي بكتابتها مرة واحدة، فأخترت الطريق الثاني، و حسب رأيي اذا كانت تلك الطريقة غير ملائمة لأية ترجمة، فأنها ملائمة لترجمة (السياحتنامه) الى الكوردية بل ضرورية لكي يطمئن القارئ بأن جميع هذه الكلمات (الكورد و كوردستان) و هذا الوصف لشجاعتهم و سخائهم و تضحياتهم في الكتاب، انما هو من لدن (أوليا چلبي) و ان المترجم لم يضف من لدنه حرفاً.

و هذا هو السبب في كون الكتاب يتصف بالضعف من ناحية البناء و التزويق اللفظي و البلاغة، و هو قوي و مفيد من ناحية المحتوى.

و من العجب، ان كتابنا و ادبائنا من العارفين باللغة الكوردية و منذ سنوات عديدة انشغلوا بامور أقل فائدة، و في كل مرة كانوا يعبرون من جانب كتاب (السياحتنامه) دون القاء نظرة عليها.

و حسب رأيي، فانه من الممكن، ان نعتبر هذا الكتاب مقياساً لرقيّ حضارة الكورد المضطهدين من قبل المحتلين، و على كل حال فهو يضيف حفنة ذات قيمه الى الاناء الحاوي على تراثنا القومي.(١)

سعيد ناكام

اربيل ١٩٧٧/١١/٩

١- طبعت الترجمة الكوردية للكتاب من قبل المجمع العلمي الكوردي في بغداد عام ١٩٧٩، و الكتاب من ترجمة الاستاذ سعيد ناكام. (ر. ف).

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّه وليُّ التوفيق وهو نعم الرفيق، الحمدللّه الذي شرّفنا بشرف السياحات على العبادة، وألقينا بتوفيق ربّانيته صاحب الجواد. و أشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من نطق بالضاد، وصلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه الى يوم الميعاد.*

أمّا بعد، انا العبد الصغير و الحقير المسمي (اوليا)، المولع بالحل و الترحال و السياحة في الدنيا، تركت بأسم الله مدينة (اسكودار)(١)في اليوم الأول من شهر جمادي الأول عام ١٠٦٥هـ في أثر (ملك احمد پاشا)(٢)أو متوجهاً الى أيالة (وان) و هذه هي قصة تلك السياحة:

*هذا الاستهلال غير موجود في الترجمة الكوردية.(ر .ف)

١- اسكودار، هي مدينة توركية صغيرة تقع على الساحل الشرقي لمضيق البسفور اي مقابل استانبول. (ر. ف).

٢- كان (ملك احمد پاشا) في خدمة السلاطين العثمانيين، الى ان وصل الى درجة الصدر الاعظم، ثم انيطت به مهمة ولاية وان. (س. ن).

٦

خرجت من (اسكودار) مع سبعة من الفرسان، و وصلنا بعد لأي في الليل الى قرية (صاري غازي) التابعة لمولوية اسكودار، تتألف القرية من مائتي بيت و هي زاهرة بالبساتين و الاشجار، لها جامع و تكيه و حمام و خان، و ليست فيها دكاكين و اسواق، و هي مصيف لأهل (استانبول)، اذ ينصبون خيامهم في الصيف و يقضون اوقات الراحة فيها، و يحل الكثير في بيوت اهالي القرية، او يذهبون الى تكية صاري (غازي سلطان).. ثم سرنا لمدة (١٥) ساعة خلال قرى جميلة و عامرة متوجهين شرقاً الى ان وصلنا لقرية (طوشانلي) التابعة لأيالة الأناضول و لقضاء (قوجه ايلي)، القرية تتألف من مائتي بيت و فيها بساتين كثيرة، و جميع اهاليها من المسلمين.

و في منتصف الليل بدأنا بالرحيل دون ضجة، وسرنا (١٣) ساعة اخرى باتجاه الشرق، الى ان وصلنا مدينة (ازميد) و حللنا ضيوفاً في بيت (احمد چلبي الاباضي) و هو من فرسان الانكشارية، اذ أخذنا فرصة للاستراحة و تناولنا شيئاً من الطعام.. و حصلنا على فرس اضافية احتياطاً، و توجهنا شرقاً ايضاً، تركنا قصبة (صبانجة) و دخلنا غابة اشجار كثيفة بين المستنقعات، و فجاة ظهر لنا ستة فرسان بدأوا بالهجوم علينا و بادلناهم اطلاق النار و أصيب فرس أحدهم ثم لم نلتفت اليهم، و عبرنا جسر (سقاريا) ذا الاربعة عشر قائماً و وصلنا قرية (كيوة)..

توجهنا الى الشرق ايضاً، و سرنا في طريق ترابية و بين الجبال، و مررنا ببعض القرى و القصبات، ثم مررنا بخان (نظيف پاشا) و لم نتوقف حتى وصلنا قرية (بگ بازاري)، و هنا توجه عشرة من رجال الپاشا، كل واحد منهم يحمل خمسة اكياس من النقود الى قصبات (انگوري، كنگري، اماسية، چوروم، مرزيفون) لجمع الرجال و المرتزقة، كما كان قد ارسل رجالاً

آخرين لولايات اخرى لدى بعض معتمديه. و كان الپاشا قد ارسل لي (مائتي قرش) وسيفا و خادماً گرجياً، و قد استلمتهم مع امتعتي و مع رجالي الآخرين، و ربطنا خيولنا هذه المرة امام خيامنا، و كان الشتاء قارصاً هناك..

و من (بگبازاري) كنا نتوجه باتجاه (القبلة)، اذ شاهدنا بعض الاشخاص يمشون في اثرنا في (آياش بيلي) وسطَ العاصفة الثلجية، و من هناك توجهنا الى (آياش) و (استينوز) و قلعة (انگوري)، فنكلر، قره باغلى، قلعة جك، شيخ شامي، قوجة بابا، آقجة قويونلي، صنقور اوغلو، بگباصدي، سنجاولي، ايپنلي سورگون، آقجه آسمه، قيدلي، و تكية الشيخ خليل، و قرية الشيخ خليل في أيالة (سيواس) تابعة لقضاء (كسكين)، و القرية تتألف من مائتي بيت و مسجد و تكية و هي قرية عامرة، و لقد قمت بزيارة ضريح الشيخ خليل في القرية.

و من هناك مررنا بقرية (ميرزا چاويش) ثم بقصبة (يكي شهر) ثم وصلنا مدينة (سيواس)... اخذ الپاشا استراحة لمدة ثلاثة ايام هنا، جمع خلالها مصاريف عشرين مجموعة من المرتزقة، كما جمع ألفي شخص من الاغوات مع مصاريف اربعة آلاف و ستين شخصاً، مع كمية من العلف تكفي لثلاثمائة من الجمال والخيول والبغال.(١)

في اليوم الرابع خرجنا من (سيواس)، كانت وجهتنا نحو الشرق، فعبرنا جسر المدينة و بعد سبع ساعات وصلنا قصبة (اولاش). و من هناك و في هذا الشتاء القارص و بين الثلوج الغزيرة توجهناً شرقاً، و تركنا مجموعة من خيولنا الهزيلة و العاجزة الى ان وصلنا مصايف (السلطان حسن) و ان

١- من هنا يتأكد ان (ملك احمد پاشا) الوزير العثماني كانت له خطة مسبقة للهجوم على امارة بدليس الكوردية، اذ قام بجمع الرجال و المرتزقة و هو لا يزال في الطريق. و كلمة (آغا) الواردة هنا هي منصب عسكري أو اداري عثماني. (ر. ف).

هذا السلطان الذي كان من ملوك اذربيجان، قد نصب على الطريق عدداً من العلائم وأحجاراً وأخشاباً بارزة للاستدلال على الطريق للمسافرين، وأن أي مسافر لا ينتبه لتلك العلائم سيضل الطريق و ينتهي به الامر الى المنحدرات الثلجية المؤدية الى الموت، و ببؤس و شقاء شديدين عبرنا تلك المنطقة، و بعد سبع ساعات وصلنا قرية (قنغال) و هي تابعة ل (سيواس) و فيها آغا تركماني، و في القرية خان و مسجد و بضعة دكاكين و نظراً لسوء تصرف التركمان فيها فهو مكان مخيف.

ثم توجهنا الى الشرق ايضاً و وصلنا (خان آلاجه) و هي تابعة ل (سيواس) ايضا و يحكمها آغا تركماني، و قد سميت بهذا الاسم نسبة الى الجدران الملونة ل (آلاجه)×، و ان وجود (الخان) في هذا المكان ضروري جداً، و توجهنا شرقاً الى ان وصلنا قرية (حسن چلبي) و هي مؤلفة من ثلاثمائة بيت و هي تابعة ل (سيواس)، فيها مسجد و خان و اهلها تابعون لعشيرة (شاسون). ثم توجهنا نحو (القبلة) و بين الجبال، ثم وصلنا قرية (چوكچ) وهي قرية عامرة متكونة من مائة عائلة من التركمان، و بعد وصول هذا العدد الغفير من الناس اليها في عز الشتاء لم تتحمل القرية ايوائهم، و بعد خمس ساعات اخرى من التوجه نحو الشرق وصلنا قلعة (حكم خان)، و نظراً لكونها وعرة، فان (الحاكم بامر الله) المصري، أمر ببناء هذه القلعة هنا، لكي يسدّ الطريق امام قطاع الطرق و العصابات المختلفة، و بدلاً من ان يسمّيها الناس ب (خان الحاكم) يسمونها خطأ (حكم خان)، و هي مصيف للتركمان في ارض (سيواس) و ال (خان) قديم، و بنيت هذه القلعة المنيعة هنا من قبل وزير السلطان (محمد خان الرابع)، و وضع فيها قائد القلعة مع ثلاثمائة مقاتل، وصنع لها باباً

×- كلمة (آلاجه) تعني: ملون أو منقوش في اللغة التركية (ر.ف)

٢

حديدياً، و ذلك للمحافظة على المسافرين ل (ملاطية) و (اولاش)، كما بنى ثلاثمائة بيت و اعفى سكانها من جميع الضرائب، ان مناخها معتدل، فيها مسجد و خان قديم و حمام و حوالي مائة دكان.

ثم توجهنا شرقا، و بعد سبع ساعات وصلنا قرية (حسن بادرق) و هي مؤلفة من مائتي بيت و هي على حدود (ملاطية)، فيها خان و مسجد و هي عامرة، و نظراً لعدم مقدرتهم استضافة هذا العدد الغفير من الناس و في هذا الشتاء القارص، لذا تركوا منازلهم و لاذوا بالجبال، لذا شعر جنودنا بعدم الراحة، أذ بقيت خيولهم جائعة الى الصباح، بينما ذهبت انا لمشاهدة منارة المسجد، و عثرت على كيس من الشعير و كيس آخر من التبن لخيولي، و أصبحت خيولي في عيد، و منها توجهنا نحو الشرق حتى وصلنا قلعة (ملاطية).

جامع القرية، بناه السلطان (حسن) وسمي بأسم (حسن بادرق) وبما أنه فر من ميدان القتال أثناء معارك (ابو الفتح)، لذا سمي الاتراك هذا الجامع بأسم (حسن بادرق)أي (الفار) في لغة الترك المغول، وعندما قاتل (تيمور) خان (توختمه ميش) في جزيرة (القرم) هرب أهل (القرم). وكانت قرية (حسن بادرق) هذه عامرة في وقت (أوزون حسن). وللجامع هذا اليوم منارة غريبة وقبة عجيبة ومن الجانب الأيسر هناك باب بأتجاه القبلة، وقد كتبت عليه بخط الجلي (مارآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن) وهو قول شريف.

ملاحظة: سأشير الى هوامش السيد سعيد ناكام بحرفي (س. ن) اما هوامشي فسأشير اليها بحرفي (ر. ف).

x- هذه الفقرة المتكونة من عدة أسطر غير موجودة في الترجمة الكوردية.. (ر.ف)

أوصاف قلعة (رقبه) أو قلعة (ملاطية):

انها جزء من بلاد الروم، و تسمى (رقبة) بلغة الروم، و في عصر النبي (يونس) في الموصل، كان هناك قيصر يسمى (رقبة) آمن برسالته، و قد اعجب ذلك القيصر بمناخ تلك المنطقة، فأسس فيها قلعة و وسعها و جعل منها مدينة كبيرة، ثم تعاقب عليها الحكام، و في عهد رسول الاسلام (ص) كانت تحت حكم (انو شيروان) ملك الفرس، و قد حاصرها (هارون الرشيد) عدة مرات و لم يستطع فتحها، و في عام (٢٠٠) هجرية حاول الامير (زياد) فتحها و هو من احفاد الامام (عمر) و بعده ابنه (لقمان) و أحد أحفاده الامير (عمر) بقوة (٢٠٠) الف مقاتل حاولوا معها و لم يستطيعوا فتحها، و لكن فتحها احد قادة الامير (عمر) و يسمى (حسين غازي) بعد محاصرة امتدت لمدة اربعين يوماً، و كافأه الامير (عمر) على ذلك بأن اقطعها له.. و في عام (٢٣٩) هجرية فتح (ألينا التكفوري) هذه القلعة، و لكن في السنة نفسها اخذها منه (يحيى بن علي) العباسي و بعون من (حسين غازي) و ابنه (بطال غازي) بقوة تصل الى (٥٠) الف مقاتل، و هدموا القلعة من اساسها... و في عام (٢٤٤) هجرية زار هارون الرشيد قلعة (ملاطية) و اسس حولها سوراً منيعاً و توجه نحو (استانبول) لفتحها، ثم تعاقب عليها الحكام، و في عام (٤٧٦) هجرية توجه السلطان علاء الدين لبلاد الروم و احتل ملاطية و هدم قلعتها و سواها بالارض، ثم في عام (٥٨٣) هجرية توجه اليها (الامير محمد) من امراء ال (دانشمند) و اعجبه مناخها فعمر قلعتها من جديد، و لا تزال عامرة حتى الان، ثم تعاقب عليها الحكام، و في احد العهود اشتجر الخلاف على حكم القلعة بين حاكم (ديار بكر) و حاكم (مرعش) و كان كلاهما من (ذوي القدرية)، و كادوا يبيدون بعضم بعضاً على ذلك، و عندما قام اكراد (دياربكر) بالعصيان على العثمانيين و خربوا مدن (اماسية و سيواس) و نهبوها، توجه (يلدرم خان) مع (٣٠) الف مقاتل و ضرب الحصار على قلعة ملاطية ثم احتلها عام (٨٠٠)

هجرية، و بعد ذلك توجه اليها (تيمورلنگ) و لما لم يستطع احتلال (اماسية) رجع الى (ملاطيه) فاحتلها و اباد سكانها، نعم ان هذه الدنيا كمئزر الحمام الذي يستعمله كل احد لوقت من الاوقات.. و في النهاية حررها (سليمان خان) و اصبحت ملكاً للعثمانيين، و هي الان مركز (سنجق) و تابعة لولاية (مرعش) و لحكامها (٥٠٠) مقاتل و يحصل على (٨٠) كيساً سنوياً، حصته الخاصة منها (٥٠٠) الف اقچة، (١) و له سبع زعامات و (٢٧٦) تيماراً، و قادته مع جنوده هم (٨٠٠) مقاتل يأتمرون بأمرة الپاشا اثناء الحروب، و فيها (آمر للفوج) و قائد للانكشارية و يوزباشي،(٢)، حصة دار القضاء فيها (٣٠٠) اقچة، و هي محاطة بقرى الكورد و التركمان، يحصل القاضي من هذه القرى على (٢٠) كيساً سنوياً، و لهذه المدينة شيخ الاسلام و نقيب الاشراف و نائب المدينة و مفتي و آغا الخراج و محصل الضرائب الذي يعتمد على الف مقاتل للقيام بعمله، و يصدر الاوامر الصارمة لجمع الاموال الاميرية وفيها مسؤول القلعة.

سبب تسمية ملاطيه: ان العجم يسمون هذه المدينة (اسپوزان)، اما التوركمان فيسمونها (مال آتية) و العرب (ملاطية) اما اليونان فكانوا يسمونها (رقبة)، لانه في عهد النبي يونس (عليه السلام) كان احد اتباعه المسمى (رقبة) هو الذي بناها، و بعد ذلك قامت ابنته (اسپوز) بتجديد عمرانها،وان قبري كل من الوالد و البنت، لا زالا في احد الرياض هناك ويقول أعيان المدينة ان اسم مدينتهم هو (مال آتيه) ولوجود قبر أفراسياب هنا، فانها تسمى (مال آتيه)أي ان المال يأتي ولكن في السجل السلطاني اسمها هو (ملاطية).

١- الكيس، اي كيس الذهب، و كان الكيس الواحد يحوي الف ليرة ذهبية، و مصطلح الكيس هو كفاية عن ألف ليرة ذهبية، اما اقچة، فهي سكة من الذهب و احياناً من الفضة و هي أقل قيمة من الليرة. (ر. ف)

٢- هذه رتب عسكرية في العهد العثماني. (ر.ف).

منظر قلعة ملاطية: تحاط هذه المدينة بالجبال من جهاتها الاربعة فمن جهة القبلة جبال (اسپوزان) التي تنساب منها عدة جداول للمياه العذبة، و هناك سهول فسيحة بين هذه الجبال، و في وادٍ واسع على ضفة نهر (دير مسيح) هناك قلعة خماسية الزوايا بنيت بالاحجار المنقورة، و تضرب جداول المياه المنسابة من العيون جدران القلعة ثم تنساب نحو الشمال، و بعد خمس ساعات من المسير تصب في نهر الفرات، و هي تنبع في الاصل من احد جبال (اسپوزان)، و من القلعة و عبر السلاسل الصخرية، هناك طرق للوصول الى الماء حيث يوسع المتحصنين الحصول على الماء، و بنيت القلعة نفسها على قطعة ارض منخفضة..

لماذا بنيت ملاطية؟: أن بانيها الاول هو الملك الكبير (محمد بن دانشمند) الذي بناها عام (٥٨٣) هجرية، و ان قبيلة ال (دانشمند) هذه اساسها من (ما وراء النهر)، هاجروا مع الجد الاكبر للعثمانيين (الشاه سليمان) من (ماهان) التي تقع في تلك الاطراف، و بأذن من ترك الاتراك (خواجة احمد يسوي) مع (١٧٠٠) شخص من اتباعهم وصلوا الى بلاد الروم، و ان (الشاه سليمان) هذا غرق في نهر الفرات اثناء السباحة، و قام ابنه (ارطغرل) بدفن جثة والده تحت سور قلعة (جعبر) على ضفاف نهر الفرات، و قامت القبيلة بوضعه محل والده كرئيس للقبيلة، و بما ان رئيسهم قد غرق هناك، لذا قرروا الرحيل من تلك المنطقة المشؤومة لهم، و توجهوا للسلطان (علاء الدين السلجوقي) و اصبحوا من اتباعه و في عام (٦٠٠) هجرية شاء الله ان ينتكس السلاجقة، فاصبح (ارطغرل) الرئيس الحقيقي، ثم تولى (عثمان) زمام الامور، و ضربت له السكة، ثم اشتهرت القبيلة باسم (العثمانيين) و اصبحت دولة قائمة الى الابد.(١) و عندما غرق الشاه (سليمان) في النهر، كان ال (دانشمند) معهم

١- لم تبق دولة قائمة الى الابد، فالابدية و البقاء لله تعالى، و قد دالت تلك الدولة بعد ذلك بقرون. (ر.ف)

اشهرها جامع (أولو)، و ينتشر في ازقتها (٢٠) مسجدا و اقدمها داخل القلعة هو مسجد الامير عمر و مسجد قره خان و مسجد السراي و مسجد البنات و مسجد الخانقاه و مسجد طوپداشي، و مسجد چرمك و المسجد المنقوش و مسجد الفلاحين و مسجد بگداش آغا و المسجد الصغير و مسجد الاكراد، و من حجراتها المشهورة حجرة (الامام سجا) و (الامام عوض)، اما التكايا فمنها تكية (غازي سيد بطال) داخل حديقة (اسپوزان) حيث ولد السيد غازي هناك، و قام (ملك احمد باشا) بتجديد هذه التكية، و منابع مياهها عذبة و طيبة و هي تنبع من جبل (اخگر) اي جبل الفحم×، و عيون دير المسيح، و تروي المدينة ايضاً، و فيها سبعة محلات لشرب الماء مجاناً (سبيل خانه) و احداها تعود ل (مصطفى پاشا السلاحدار)..

السرايا و الابنية الكبيرة: فيها (١١) سراياً كبيراً، تضم أموال و بضائع كبار رجالاتها و أغنيائها، وأكثرها فخامة هو سراي الپاشا و سراي امين.

الخانات: اشهرها هو خان (مصطفى پاشا السلاحدار) الذي كان من معتمدي السلطان (مراد خان)، و في هذا الخان (١٧٠) غرفة، و تعلو سطوحها القباب، و لها بوابة حديدية، كتبت عليها سنة صنعها.

القيصريات و الاسواق: لها سوق سلطانية عامرة، و جدران دكاكينها لم يتم طلاؤها بالنحاس أسوة بأسواق الشام و حلب، و تتوفر فيها أنواع الاقمشة و الامتعة..

وجوه أهالي ملاطية: بسبب اعتدال المناخ و انتعاشه، فرجالهم اقوياء الجسد، مربوعو القامة، تصل اعمارهم الى (٦٠) او الى (٧٠) عاماً دون ان تسقط اسنانهم، تبقى نضارة وجوههم و احمرارها على حالها حتى بعد تقدمهم في العمر، و هم اقوياء و ضخام الاجسام و بسبب هذا المناخ الجيد فالاهالي جميلون و مهيبون، ولكن بما انها كوردستان و منطقة باردة،

× - جبل (اخگر)، تعني في اللغة الكوردية الجبل الترابي وليس جبل الفحم (ر.ف)

فالنساء الجميلات الشهيرات قلة، و بما انهم ينتمون للقومية الكوردية، فما ان تصل البنت لسن العاشرة من عمرها حتى يحل وقت زواجها.

من الرجال المرموقين هنا كان (بگداش آغا ملك پاشا) الذي انتحر بأن أسقط نفسه على سيفه، فقتل نفسه، و الامر لله.

المدينة هي مدينة الكورد و التركمان و قد تعلموا مهنة الطب و التداوي من آبائهم و أجدادهم، و هم ماهرون في المهنة لدرجة انه لا مثيل لهم بين الالمان و القرم، و هناك سبعة دكاكين لعمليات الجراحة، و الأسطة (بشارت) الكوردي هو اكثرهم خبرة، و بما انها (كوردستان) فهناك رجال ذوو احجام كبيرة و خشنة، و هناك الكثير منهم يقضون لياليهم في الصلاة و نهاراتهم في الصوم، و اغنيائهم يلبسون جلود السنور و الصوف، و فقراء الحال يلبسون (الشال و الشاپك×) و متوسطو الحال يلبسون الچوخ و خامات ملاطية ويلبسون الزبون الازرق، اما نساء الاغنياء، فيضعن الحجاب المنمنم و يغطين رؤوسهن بالوشاح، اما نساء الفقراء فيضعن الوشاح الابيض و الحجاب و الطاقية، و جميعهن تلبسن الاحذية الصفراء و الحمراء.

لهجتهم: انهم يتحدثون بالكوردية و التركمانية، و للتركمان فيها لهجة خاصة، بحيث لا يفهمها الاتراك بشكل جيد.

مناخها: لها مناخ جيد و معتدل و حسب كلام السائحين، فأن هواء هذه المدينة يشبه هواء (تبريز) و ربما افضل بكثير و بسبب هذا المناخ فان اهالي المدينة ذوو اجسام قوية و يميلون للضخامة.

مياه ابارها: لهم حوالي الفي بئر، ذوات ماء عذب للشرب و لسقي البساتين، و من غير هذا العدد فلكل واحد منهم بئره الخاص به يستعمله

×- وردت كلمة (شال و شاپك) في النص التركي (ر.ف)